المشي في النار

لبعض الناس اعمال غريبة مدهشة يتخذها دهاتهم سبيلاً للكسب زاعمين انها من الخوارق التي لا يستطيعها الاَّ من أُعطي قوةً تفوق قوى الطبيعة ولهُ اتصال بآلهة او ارواح وراء الطبيعة من ذلك مشي بعض الناس في النار او على الحجارة المحماة وهم حفاة الاقدام. وقد جرى ذلك حديثاً في جزائر فيجي امام بعض العلماء احتفالاً بتتويج ملك الانكليز ووصفتهُ جريدة نائشر وصفاً علمياً وها خلاصة ما ذكرتهُ قالت

ان هذا العمل جرى في جزيرة مبنفا اجراهُ اناس من قبيلة مشهورة بتحمُّل اهاليها للحر الشديد. حفرت حفرة مستديرة في غاب كبير قطرها نحو ٢٠ قدماً وعمقها قدمان وغرزت فيها اوتاد كثيرة أُلقيت عليها سعوف النخل اليابسة واضرمت فيها النار ثم رصفت الحجارة في تلك الحفرة كما ترصف في الاتون وزيد اضرام النار تحتها وفوقها وظلت النار توقد يومين كاملين حتى صارت الحجارة بيضاء متلهبة من شدَّة حموها كما تصير في اتون الجير (الكلس) وصار يصعب على الانسان ان يدنو منها لشدَّة حموها ولأنَّ الشظايا كانت تتشظَّى منها وتتطاير في كل الجهات. وحينئذٍ اتوا بعيدان كبيرة خضراء طول العود منها نحو عشرين قدماً وبحزم من الاغصان والدوالي الغليظة وربطوا الدوالي في رؤوس العيدان اناشيط او حلقات وجعلوا يلقونها على جزال الحطب التي لم يتم اشتعالها ويجرُّونها بها من الحفرة وكلما لمست هذه الحلقات او العيدان حجرًا من الحجارة ازتَّ واشتعلت حالاً دلالة على ان الحجارة كانت في اشد درجات الحمو. وظلوا يفعلون ذلك حتى لم يبقَ في الحفرة غير الحجارة فجعلوا يقلبونها بحلقات الدوالي المتصلة بالعيدان ويرصفونها بعضها بجانب بعض والحلقات تشتعل كلما اتَّصلت بها مع انها خضراء وهم لا ينفكون عن ابدالها بغيرها الى ان صارت الحجارة على استواء واحد تقريباً وحينئذٍ انتهى عمل هؤلاء الرجال وابتدأ عمل الذين يمشون في النار فخرج عشرة منهم من غابة لابسين ملابس غريبة ونزلوا الى الحفرة حفاة ومشوا على الحجارة مسرعين وداروا حول الحفرة كلها في نحو خمس عشرة ثانية . ورُميت لهم اوراق خضراء في وسط الحفرة فداروا اليها وداسوها وحالما وضعوا اقدامهم عليها ازتَّ وخرج البخار منها وأكتنفهم حتى كاد يحجبهم عن الابصار

وفحص احد الاطباء واحدًا منهم قبل نزوله الى الحفرة فوجدهُ صحيح البدن ضربات نبضهِ تسعون في الدقيقة ويداهُ وقدماهُ ابرد من سائر بدنهِ . وقدماهُ نظيفتان لا رائحة فيهما ولا

يظهر انهُ عالجهما بشيء من الاشياء واخمصاها ابيضان الى الصفرة صقيلان ليّنان جدًّا كانهما من جلود الجداء

وكان هؤلاء الرجال لا يرفعون نظرهم من الحجارة وهم يمشون عليها. وفحص واحد منهم بعد خروجهم من الحفرة فاذا ضربات نبضهِ ١٢٠ في الدقيقة واخمصا قدميهِ باردان وباطنتا رجليهِ سختتان كأنهُ مصاب بحمّى شديدة وكان لابسًا مئزرًا محوكًا من لحاء الاشجار وخلخالين منها ايضًا فلم تفعل بها النار ولا فعلت بشعر ساقيهِ . وداس الطبيب بعض تلك الحجارة بجزمتهِ فلم تسوّد جلدها مع انها كانت حامية جدًّا لا تلمس . وطلب من احد الحضور ان يخرج لهُ حجرًا منها ولم يكن من الذين مشوا عليها فاخرج لهُ حجرًا بقدمهِ ولكنهُ لم يستطع لمسهُ بيدهِ

وقد علّل الطبيب ذلك بان الحجارة من النوع المعروف بالاندسيت وقد وُجد بالامتحان ان سير الحرارة في هذه الحجارة بطيء جدًّا فاذا حُسب سيرها في النحاس الفًا فسيرها فيها اقل من سبعة اي ان ايصالها للحرارة ضعيف جدًّا . واما اشعاعها للحرارة فكثير لانهُ اذا كان اشعاع الحديد مئة فاشعاعها ٤٨ ولذلك فالسطح المعرَّض منها للهواء يبرد ولو قليلاً والحرارة الباقية فيهِ لا تصل الى القدم بسرعة اذا كانت القدم تلمسهُ لحظة من الزمان لان هذه المدة غير كافية لانتقال مقدار كبير من الحرارة من الحجر الى القدم

وخلاصة ذلك ان الحجارة المحماة يمكن دوسها بالاقدام ولو لم يكن لمسها بالايدي ممكنًا لان شعور الاقدام بالحرارة اضعف من شعور الانامل بها. ثم انهُ اذا كان الجسم غير موصل للحرارة كالماء وبعض الحجارة سهل لمسهُ ولو كان حارًّا لان الحرارة لا تنتقل منهُ الاَّ ببطء مثال ذلك انك تستسهل لمس الماء السخن ولو كان غاليًا ولكنك لا تستطيع ان تلمس الاناء الذي فيهِ ذلك الماء اذا كان من النحاس او الحديد لان الحرارة لا تنتقل من الماء الى يدك بسرعة ولكنها تنتقل بسرعة من النحاس والحديد . ولذلك فالمشي على الحجارة المحماة ليس من الخوارق ولو كانت الحجارة شديدة الحمو اذا كان المشيُ سريعًا

هذا ويبلغنا عن اناس يأكلون الجمر ويقضمون الزجاج ولا ينالهم مكروه ولم نسمع ان احدًا بحث في ذلك بحثًا عمليًّا ولكن لا شبهة عندنا في ان هذه الافعال وامثالها اذا تولّى البحث عنها عالم محقق لم يجد فيها شيئًا من الخوارق بل وجد انها جارية على مقتضى بعض النواميس المعروفة كناموس انتقال الحرارة في الاجسام وقد يجد انها جارية على مقتضى ناموس غير معروف كناموس اشعة رنتجن ولكنَّ هذا بعيد الاحتمال جدًّا